عواد كريمون

للشاعر الفرنسي فرنسوا كوبيه

بقلم الأستاذ محمد كامل حجاج

المنظر الخامس

فيليبو — ساندور

ساندور — لقد اقتربت الساعة الفاصلة

فيليبو — نعم يا زميلي

ساندور — هل هيأت كمانك للعرض ؟

فيليبو — بلى

ساندور — هل أنت مسرور ؟

فيليبو — نعم . وكيف حال كمانك ؟

ساندور — كماني ؟ ليست ذات أهمية

فيليبو — لا يهمني ذلك ونجاحك هو الذي يعزيني إن سقطت في هذا العراك الأدبي الأخوي . أتريد أيها الزميل أن تناولني يدك ؟

ساندور (بعد سكوت) — لا

(ثم يخرج فجأة دون أن يفوه بكلمة)

المنظر السادس

فيليبو وحده

— يا له من حسود ! وقد ابتدأت الهجوم ! إنه متألم ويلزم أن أصفح عنه . إنه لمن العته أن يعترف الإنسان لصديقه المسكين المنكود الذي لم يحسده قط على قوته وجماله ، بفضل ضئيل لا يمس حبه الذاتي ولا يغيظه . وما أحسن أن يكون الناس أصدقاء ومتنافسين في الوقت نفسه . إنه يجهل قدرك ولا يعرف لك فضلاً . بالقلب مفعم بالحنان والعطف ويتجنبه الناس . ولكن صفوة صناعتي هناك ولي فيها العزاء ! إنني مماثل لك أيتها الكمان العزيزة ! آلة رقيقة في ظرف غير منتظم الشكل

(ثم يذهب فيأخذ كمانه من خزانة وكانت موضوعة في ظرف أحمر ثم يضمها على المضدة اليمنى)

تعالي فاني أريد أن أشاهدك للمرة الثانية . أي صنعي العزيز الذي نفحني الشجاعة ، أنا الصانع النحيل فريسة الضجر والضيق . لقد قضيت في صنعك أياماً وليالي . تعالي لتفجري من جوفك العميق أشجى الألحان السريعة والأنغام البطيئة المبكية . تعالي فاني أريد أن أشاهدك وألمسك . إنني لا أريد أن أوقظ صوتك الرنان ، بل أكتفي برؤية وجهي في خشبك الذهبي اللامع ، لأنك ستفارقيني لمجد ناسوتي ؛ ولربما وقعت بين النبلاء أو بين الأفاقين فأرقصت السوقة في الضواحي أو النبلاء في بلاط الأمراء وأنت ترتعدين من أصابع مهرة الضراب . وأنا الذي أعتقد بسذاجة في عقلية الأشياء ، أتوسل إليك وأنا أودعك أيتها الآلة النبيلة العزيزة ألا تنسي الذي منحك هذا الصوت الملتهب والأحدب المسكين الذي نفخ فيك من روحه (ثم يضم الكمان في ظرفها)

ما أنا بالطفل ! ثم ماذا ؟ لا ، فاني أكذب على نفسي وأتمدعو اطفي بلاطائل . يالالأحمق المسكين مثلي ! لم أدخل هذه المسابقة للمجد وحده ، ولكني أردت أن أنال هذا النصر لأجل اللطيفة الحسناء جانينا لأنها التي اهتمت وحدها بآلامي في هذه الدنيا . وحينما كنت طفلاً ضالاً متشرداً وقفت بباب المعلم فيراري

فقابلتني بكل طيبة ولطف دون أن تضحك ، وإن هذا الحب الصامت من صديق طفولتها لا تعده إهانة لها ، وإني أرغب أن أحصل على نصيب من الفخر يجعلني محبوباً يوماً ما . وإني واثق من النجاح الذي أنشده . إنني لا أتسلح بقسم والدها فربما يكون فؤادها خالياً ، وحينما أمنحها السلسلة الذهبية البديعة وتشعر أن من هذا الجسم النحيل قد تفجر النبوغ لأجلها ، إنها ابنة فنان وسيكون لها نصيب من العظمة ، وستفكر في الذكاء وتنسى الدمامة ، ولمدة أسباب تستطيع نفسها المخذولة أن ... أواه ! إنني أحلم بحلم فتال

المنظر السابع

فيليبو — جانينا

جانينا (تدخل) — إنه وحده ، وسأسأله إن كان ساندرو عنده بعض الأمل (ثم تتكلم بصوت مسموع)

فيليبو — (منتبهاً من أحلامه)

إلهي ! إنها هي !

جانينا — يجب أن أسدد إليك سهام اللوم لأنني كنت أجهل ما يعلمه كل الناس كما أنني لم أعلم منك هذا النبأ

فيليبو — وما الأمر ؟

جانينا — إنك ستدخل المنافسة لتحصل على الجائزة !

فيليبو — كان من الواجب علي أن أعلمك أولا ، ولكني حينما عرفت ميل المعلم فراري والقسم الذي فاه به لم أجسر على ذلك ، فعفواً يا آنستي !

جانينا — نعم ، ولكن دعنا من هذا . إنك تعلم أن أبي الهرم الذي يحبني لا يريد أن يتصرف في ولا أن يكلف المصادفات بالعناية بسعادتي . أما السلسلة الذهبية وشهادة الشرف فتختلف عن هذا بكثير ، وكل فرد له الحق في التنافس فيها ولا سيما أنت بعد ما سمعت بمهارتك

فيليبو — وكيف ذلك ؟

جانينا — ولكنك صنعت كما يقولون إنها ستنال الجائزة بلا ريب لأنها تحفة فنية

فيليبو — إنني أعترف أنني بذلت ما في الوسع ، ولربما نجحت أو سقطت في المسابقة ، ومن يا آنستي الذي سيهتم بذلك ؟

جانينا — من ؟ كثير من الأصدقاء الذين يهتمون بأمرك وقد برهنوا على ذلك

فيليبو — عفواً فاني غبي ، وحينما يكون الانسان حبيباً يظن أنه قليل الثقة ؛ وإني مدين لك بنصف أسراري ، وحينما تتملكني الهموم والأشجان لا أجد من يشفق علي إلا إياك ، لأنك تغتبطين حينما تريني سعيداً . إنني مثل نبات « الست المستحية » إذا اقترب مني أحد تقهقرت بحركة آلية متصوراً أنهم يريدونني بسوء ، فعفواً يا آنستي !

جانينا — إذا كان الأمر كذلك فاني أنسحب

فيليبو — كلا ! لا تبرحي مكانك فسأقول لك كل شيء لأني أنكرت جميلك وأهنتك ، واعلمي أني واثق من النجاح لأني أحكم على عملي بدون تسامح ، ولا أدري إن كان النجاح حليف الذكاء والمهارة أم حليف الحظ ، ولكنني قد نجحت على كل حال (ثم يعرض كأنه)

وحينما ابتدأت عملي هذا بذلت ما في وسعي من العناية وصنعت قصبتها من خشب التنوب ورقبتها من الاسفندان ، ولكن كل هذا لم يك شيئاً مذكوراً ، بل العجب كل العجب ما عثرت عليه في ساعة من

الليل وهو الورنيش القديم أو السر المفقود ...

جانينا — هل هو الورنيش الشهور الذى كان يستعمله الأساتذة الأقدمون ؟

فيليبو — إنه فى حوزتى وأرغب كمنافس كريم أن أذيع تركيبه بين المتنافسين . ولقد قارنت بين كمانى وكمان صنعها « إباتى » المشهور فكانتامتشابهتين فى الصوت بالضبط . وإنى واثق من قولى . إننى أفخر من الأخشاب الأربع — كما كان يعمل الأساتذة الكبار — صوتاً عميقاً عظيماً رنانا يملأ كنيسة كبيرة !

جانينا (على حدة) — وا أسفا على صاندور المسكين !

فيليبو — إننى منذ هذا اليوم السعيد وأنا أخفى سعادتى كالعاشق ، ولا يهمنى الآن إن أخذت الجائزة أو حرمتها ، لأن حياتى عيد مستمر ، وإنى أتمتع بكنزى الثمين كالبخيل . أجتاز كريمون وأهلها نيام لأصل إلى مكان خلوي هناك وكمانى على عباءتى وأجلس وحدى فى سفح الأكمة فوق العشب المخضل بقطر الندى فأغرق فى أحلامى إلى أن تطلع الشمس ، وفى الختام حينما يتلألأ الأفق بماسه وبلوح حولى اختلاج الطبيعة منبئاً باستيقاظها ، وتهتز الأعشاب ، ويسمع حفيف الغاب والحمائل ، وقد عاودتها نضارتها فى الليل وانطلقت من الأوكار ألحانها الشجية — أتناول كمانى ببشر وفرح ، وأرتجل من الألحان أشجاها ، وهذا هو خير الجزاء ، وأصطبح بقوس ظافرة للغط الفخم الذى ينبعث من الشمس المشرقة والتنهدات الطويلة لأوراق الأشجار ونقيق الدواجن المستيقظة ، كل ذلك يسعد نفحاتى فأسكر من نشوة الطرب ، وهذه الكمان الظافرة أشعر باختلاجها بجانب قلبى فتمتزج ألحانها بألحان الفجر فتغرق نفسى فى نشيد ساحر من شباب وفرح

جانينا (على حدة) — وا أسفا على صاندرو المسكين !

جانينا (على مسمع منه) — إن ذلك لأجل مما وصفت

فيليبو (وقد وضع كمانه على كتفه) — إصغى اليها وكيف تخرج صوت اللا La

جانينا — وقع لنا لحناً فإنى أحب أن أستوعب صوتها جيداً

فيليبو (على حدة) — إنها تتكلم بلهجة حنان وهى ترجونى ، فهل تتمنى لى اعظم الأمانى لنجاحى ؟ (على مسمع منها) هل ترغبين سماع صوتها حقاً ؟

جانينا — نعم بلا شك (على حدة) سنرى إن كان يتملق أو يقول الحقيقة

فيليبو — أترغبين أن أوقع لك السونات من مقام الصول لكوريللى

جانينا — وقع ما يروق لك

فيليبو (وهو واقف أمام حالة النوتة) — إصغى جيداً إلى هذا (يوقع فيليبو المقاطع الأولى من لحن عظيم على كمانه ذات الصوت الرخيم الرنان فيبهر وجه جانينا التى كانت مصغية إليه عن إعجاب مصحوب بألم ثم تنكس رأسها بين يديها وتبكي بكاء مراً فيلحظها فيليبو ويصيح قائلا :)

ما ذا أرى ؟ أتبكين ! وهل أنا الآن أبكى الناس بعد ما كنت أثير منهم الضحك ؟ أما يشبه صوتها التنهدات ؟ أليس الفن مغرياً وجميلا ، لأن هذا الأحدب الذى كان يضحك منه الغلمان ويرشقونه بالحجارة قد استطاع أن يفجر الدمع من جفونك ؟ إننى لم أعد حقير الأمس ، فان لى الحق أن أرفع رأسى وأشمخ بأنفى . لقد أبكيتك ، وهذا مايعوضنى يا جانينا عن الفخر والجزاء ، ولا أجد جزاء أثمن من اللآلئ التى تمطر من عينيك

(يتبع) محمد كامل مصباح